



الخيطة الرفيع.. بين: من يمدح ومن يشتم

عبدالرحمن الشبيلي

من نافذة القول ومكروره، أن هذا المجتمع، لا يختلف بالضرورة، عن أمثاله من المجتمعات، المتفقة معه في الديانة والثقافة، أو المقاربة له في الظروف والتقاليد.

— وأن الناس والأفراد والمواطنين، ومن بينهم المسؤولون، هم من البشر، يخطئون ويصيبون، وليسوا من جنس معصوم من الخطأ أو الزلل، وأننا نعرف مواطن الضعف أو القوة قبل أن يعرفها أو يعزفنا بها غيرنا.

— وأن بلادنا، وإن كانت تتشرف باحتضان الحرمين الشريفين وخدمتهما، فهي تضم الصالح والطالح، وإن كان المأمول والواقع، أن الصالحين هم النسبة الغالبة، والحمد لله.

— وأن مجتمعنا يتطور بهدوء وبالتدريج مستفيداً من تجاربه وأخطائه، أو من تجارب الآخرين وأخطائهم.

لكننا مع ذلك، راضون بواقعنا وأحوالنا، بل ونشعر أننا في وضع قد نغبط عليه، لأنه فعلاً أفضل من غيره بما في ذلك كل من حولنا، رغم كل ما يقال وما يكتب وما ينشر، مما صرخ أو مما هو مبالغ به.

من هنا، فإنه ينبغي ألا يكون لدينا حساسية من نقد أو مزايدات، فلقد علمتنا الظروف والأيام أن من ينتقد أو يشتم، سيظل يساوم ويمارس الابتزاز مهما حاولنا إسكاته، وأن من تعود أن يمدح، فإنه لن يستمر في مدحه ما لم يستمر له العطاء، (على طريقة الصحفي اللبناني الشهير، رحمه الله).

ونتصور أن من يمدح بسماجة، لا يختلف كثيراً عن من يسب بفجاجة، فالكل مرتزق، والاثنان متساويان في الرخص، والقارئ المحترم، لا يستسيغ ما يصدر عنهما من ثناء أو من هجوم.

* — *

نقول هذا الكلام، و«الزميل العزيز» (على لغة الأستاذ النشاشيبي) يستعد هذه الأيام، في صحيفته الرخيصة التي تصدر في الخارج، لاجترار مقالاته السابقة ويهدد بإعادة نشرها بصياغة جديدة، مستغلاً تجمع المصطافين السعوديين في الخارج.

فهو نموذج لعدد من الكتاب والصحفيين، الذين أكرمهم هذه البلاد في فترة من الفترات وبالغت في تقديرهم والاهتمام بهم، وتقريبهم أكثر مما كان يجب لأمثالهم.

وهم من صنف مبتذل ان شتم أو سب أو انتقد، أو حتى إن هو أثنى وامتدح، فلا أحد يستمع إليه، أو يأخذ بكلامه، أو يستشهد به.

وعرفنا عنهم من تاريخ التعامل معهم، أنهم سكتوا أكثر من مرة، وهاجموا أو استخدموا الابتزاز أو لَوْحوا بالتهديد مرات ومرات، حتى لم يعد لهم أي مصداقية أو تقدير أو سمعة موضوعية.

* — *

فمتى نتوقف عن الاهتمام بمثل هؤلاء، ومتى نقنع بأن أفضل أسلوب للتعامل مع «المرتزقة» من الكتاب والصحفيين أو حتى السياسيين، هو تجاهلهم وعدم الاكتراث بهم، طالما توفرت القناة بمنهجنا، ووثقنا بفطنة المواطن ومعرفته وحصانته.

فغير الأيام تصدع من هو أهم منهم، وتلاشى من كان يظن أنه أقرب منهم، وربما استخدم وسائل أبلغ منهم.

ثم لماذا علينا نحن بالذات؟، ولماذا نبقى أكثر من غيرنا؟ مضغة سائغة في أفواه هذا النوع من الصحفيين وكتاباتهم؟

من المؤكد، ليس لأننا الأكثر في الأخطاء والتقصير، لكن المظنون أن السبب: هو الفرق في التعامل.

لقد حصل بعض التغيير، والأهم من ذلك، أن هناك وعياً شاملاً بهذه الأساليب، وأن هناك قناة، بأن طريقة جديدة ومغايرة، ينبغي أن تتبع للتعامل مع هؤلاء، حتى لا يستمر الاستحلاب، ويستمر مسلسل الابتزاز.